

مصطلحات العقيدة في المعجمية العربية قديما وحديثا

(٢ / ٢)



د. خالد فهمي - مصر

تناولنا في الحلقة الماضية عناية المعجمية العربية القديمة بمصطلحات العقيدة وتطورات تلك العناية ، واليوم نواصل التعرف على مظاهر الاهتمام بمصطلحات علم العقيدة في المعجمية العربية الحديثة ...



إن المتابع للمعجمية العربية المعاصرة، لاسيما في قسمها المختص أو الاصطلاحي يلمح عناية بجمع مصطلحات علم العقيدة وتفسيرها، وقد سارت في المسارات التالية:

١- **خدمة المصطلحات العقدية في المعاجم** اللغوية العامة، كالمعجم الوسيط والكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمعجم العربي الأساسي، للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي يعرف العقيدة فيقول «عقد ٨٥٤»: «عقيدة (ج) عقائد: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله... وحكم لا يقبل الشك لدى صاحبه».

وفي هذا السياق يصح أن نحذر من مجموعة المعاجم العربية المعاصرة التي ألفها غير المسلمين، حيث لم يكونوا مأمونين في التعامل مع ألفاظ العقيدة الإسلامية، من مثل: قاموس المنجد، للأب لويس معلوف النصراني الذي ينطلق من رؤى نصرانية في معالجته لمصطلحات العقيدة الإسلامية، وهو ما يحذّر منه د. إبراهيم عوض في كتابه: «النزعة النصرانية في قاموس المنجد» طبعة دار الفاروق، الطائف ١٤١١هـ= ١٩٩١ م ص ٢٣ وما بعدها.

٢- **خدمة المصطلحات العقدية بمعاجم خاصة:**

وفي هذا السياق يلفتنا معجمان مهمان في هذا السياق خصصهما صاحباهما لتعريف مصطلحات علم العقيدة عند المسلمين، كما يلي:

أولا - معجم ألفاظ العقيدة، تصنيف أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، وتقديم عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، بالرياض ١٤١٧هـ، وسنعتمد في عرضه على طبعته الثانية الصادرة في سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

ثانيا- المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، تحرير سعد الفيشاوي وتعريب الهيئة العامة المصرية للكتاب، بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م.

معجم ألفاظ العقيدة

حدد صاحب معجم ألفاظ العقيدة هدفه من تصنيف معجمه في مجموعة من الغايات هي:

أ - غاية تعليمية تتوخى طلاب العلم الشرعي، وعامة المسلمين.

ب - غاية علمية تتذرع إلى خدمة هذا العلم الشريف.

ج- غاية عملية ليسد ثغرة، زعم أنها قائمة بسبب ما سماه عدم عناية أحد في القديم والحاضر بتصنيف معجم لهذا العلم، وهو ما رددنا عليه سلفا. وهي غايات نبيلة كفيلة بالنهوض لمثله.

معجم ألفاظ العقيدة والمعجم العلمي للمعتقدات الدينية ... من أهم المعاجم الحديثة التي عالجت مصطلحات العقيدة

ثم تحدث عن منهجه في ترتيب مداخله أو مصطلحاته التي جمعها وفسرها، وهو المنهج الألفبائي المشرقي (أ ب ت ث ج ح) من غير تجريد للكلمات، أو من غير ردها إلى جذورها، وهو ما نسميه المنهج النهائي الهجائي الذي يراعي ترتيب الكلمات وفق شكلها النهائي في الاستعمال والنطق، وهو منهج قديم جدا استعمله العرب القدامى في المعجمية العامة.

ولاشك أن الغاية من هذا المنهج هي التيسير على عموم المستعملين. وهو مبدأ محفوف بالتقدير في المعجمية المعاصرة في بحوث التصنيف المعجمي تحت اسم جامع هو: العناية بمنظور المستعمل.

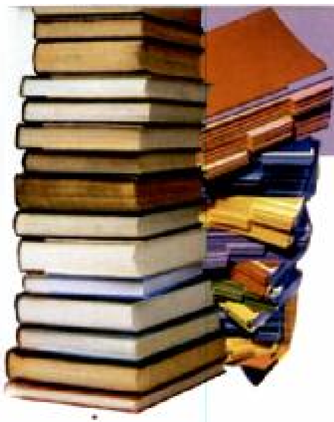
مميزات مهمة

وقد تميز هذا المعجم بعدد من الميزات المهمة في هذا السياق، منها:

أ - وضوح العبارة الشارحة لمعنى المصطلح، واعتماد الإمكانات اللغوية الكامنة في معاني الأبنية توصلا لبيان المعنى الاصطلاحي.

ب - التدليل بالأدلة النقلية على كثير مما يورده، كاستدلاله على شرعية الاستعانة بالله سبحانه بقوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾(الفاتحة - ٥)، وعلى شرعية الاستعانة بالمخلوق في البر بقوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾(المائدة-٥)، وعلى حرمة الاستعانة على الشر بقوله تعالى: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾(المائدة -١)، وعلى شرعية الاستعانة بالأعمال الصالحة بقوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾(البقرة - ٤٥).

٣- استعمال تقنية معجمية هي الإحالة وهي تفيد في صنع التماسك المعجمي، والمقصود بذلك أن يحيل أو يعيد القارئ في مادة من مواد المعجم إلى مادة أخرى يرى أن من المفيد الاطلاع عليها لإضاءة الطريق من جانب أو طلبا لعدم تضخم المعجم عن طريق عدم التكرير من جانب آخر.



ومن أمثلة ذلك إحالته في مدخل «التوحيد العلمي الخبري ص ١٠٩» وفي مدخل «التوحيد الطلبي ص١٠٩» على مدخل التوحيد ص ١٠٨، لأنه قد سبق له التعريف بهما.

٤- العناية بالتوثيق، وهو كثيرا ما يجتهد في توثيق ما يقوله من تعريفات ونقول وتقسيمات بإثبات مصادره في الحواشي السفلى لصفحات معجمه.

ومن مصادره ذات الصلة الوثيقة المباشرة بمعجمه ما يلي:

الملل والنحل للشهرستاني، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي والفرق بين الفرق، للإسفراييني، ومقالات الإسلاميين، للأشعري، وشرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن وهب القحطاني وكتب التوحيد في كتب الصحاح، والفصل في الملل والنحل، لابن حزم، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ... إلخ.

٥- إفراد المدخل أو المصطلح بسطر مستقل وبحجم طباعي أكبر من بقية الكلمات وهو مما ييسر الوصول إليه.

عيوب المعجم

وقد وقع المعجم في بعض العيوب المؤثرة، لعل أهمها على الإطلاق هو: الإخلال بعدد ضخم من المصطلحات العقدية، فلم يوردها في معجمه من مثل:

- مصطلح العقيدة نفسه! وهو علم معجمه.
- مصطلح الاعتقاد.
- مصطلحات «النبي والنبوة والنبوات والعصمة... إلخ»، ولا يغني في هذا المقام تعريف الرسول، من غير إحالة على النبي.

ونحن نرجع السبب في هذا النقص على النقص الأول في جمع مادة هذا المعجم والمأمول أن يعاود مصنفه جمع مادة المعجم من المصادر التي أشرنا إلى أقسامها هنا لاستكمال هذا النقص المعيب.

المعجم العلمي للمعتقدات الدينية

وهو معجم ثنائي إنجليزي/ عربي، أي أنه مرتب المداخل وفق الألفبائية الإنجليزية، ولغة الشروح التي تحت كل مدخل عربية، وهذه أولى عيوب هذا المعجم على الرغم من أهميته، ذلك أن المستعمل المتوجه به إليه عربي، فكان الأولى أن يرتب على وفق ترتيب المداخل العربية، ولا يعتذر عن ذلك بأنه تعريب، وإن قلل من مخاطر هذا الترتيب وجود فهرس للمصطلحات والمداخل مرتبة ترتيبا ألفبائيا عربيا مقرونا بأرقام صفحات كل مدخل (ص ٧٧٥-٨١٥).

وقد حدد صانع المعجم غايته بقوله في مقدمة المعجم ص ٥: «وهو موجه لكل مهتم، أو مشتغل بالمسائل التي تتطلب معالجة علمية لقضايا الدين»، وهو بهذا يتغيا غاية علمية بحثية.

ثم تحدث عن كثافة المداخل التي بلغت حوالي ٢٥٠٠ مصطلح أو مدخل تغطي نطاقا واسعا من المصطلحات المتعلقة بقضايا الدين في اشتباكاتها مع الفلسفة والعلوم الطبيعية والدراسات الجدلية والتاريخية.

أما ما يميز هذا المعجم فيتمثل فيما يلي:

١- الصبغة الموسوعية التي حرص عليها، وقد تجلت في العناية بالتعريف بكثير من الأعلام المشتبكة بقضايا الدين والمعتقدات، والأماكن، والوقائع، والأعياد والكتب، ومن أمثلة ذلك: تعريفه للمسيح الدجال Antichrist، فاطمة Fatima وهي ابنة المصطفى ﷺ من أم المؤمنين خديجة، وكذلك مكة Mecca

٢- عرض مصطلحات العقائد الإسلامية مع مصطلحات معتقدات أخرى كاليهودية والنصرانية وغيرهما مما يسهم في دراسة المعتقدات المقارنة.

٣- تحديد المجال الدلالي للمصطلح المعرف، بمعنى الحرص على بيان أن تعريف المصطلح المعين خاص بالسنة أو الشيعة أو غيرهما على الجانب الإسلامي أو بالكاثوليكية أو الأرثوذكسية على الجانب النصراني... إلخ.

٤- الحرص في أحيان كثيرة على صنع إحالات إما طلبا لتماسك مجموعة من المصطلحات التي من المفيد جمعها وقراءتها معا، أو طلبا لاختصار المعجم وعدم تضخمه.

٥- العناية بالبعد التاريخي والمقارن في تحرير كثير من التعريفات، مثلما نرى مثلا في تعريف مصطلح التوحيد ص ٤٠٢ Monotheism

ومن أهم عيوبه أنه في عملية التعريب لم يتخلص من الروح التي كتب بها أصلا بحسبانه معجما موجها للقارئ الغربي غير المسلم، وهو ما ظهر في تبني تعريفات لا يقول بها المسلمون في معتقداتهم وعلومهم من مثل: تعريف السنة sunna ، يعرفها فيقول: تقاليد الإسلام المقدسة والتي وردت في الحديث، والسنة عندنا ليست بهذا المعنى، أولا لأنها غير محصورة في الحديث (القول) وإنما تخرج منه إلى الفعل والصفة والتقرير منه ﷺ، ثم إنها ليست جميعا مقدسة، لأن ثمة سنن زوائد، وسنن غير تشريعية... إلخ.



ختاما

إن من المهم جدا أن نقرر أن العناية بالعقيدة الإسلامية باعتبارها محورا لا يمكن تصور تغافله في إيمان المؤمنين من جانب، ولا يمكن تصور أية دراسة لقيم الإسلام ومبادئه تتم من دون الانطلاق من تقدير العناية التي أولتها المعجمية قديما وحديثا لهذا العلم المهم جمعا لمصطلحاته وتعرفا لها.